تفسير القرآن بالقرآن (أصله وحجيته)

إعداد الطالب

سعد وهيب علوان

Saa20h4004@uoanbar. Edu.iq

إشراف الدكتور

أ. د. ياسر إحسان رشيد

Yasir.rashid@uoanbar.edu.Iq

الملخص

تتناول هذه الدراسة جانباً نظرياً مهماً من تفسير القرآن بالقرآن باعتباره الأصل الأول من أصول التفسير وأشرفها، ولا شك أن قائل الكلام أدرى بمقاصده ومراميه، وهذا البحث يتطرق لمفهوم تفسير القرآن بالقرآن وحقيقة هذا المصطلح وأصله التاريخي ونشأته وكيفية التوصل إليه ومدى قبول حجته عند المهتمين بعلم التفسير، كل ذلك مواضع تستقصيها هذه الدراسة بأسلوبٍ سهلٍ موجزٍ يساعد المتلقي على فهم كلام الله تعالى ومعرفة مقاصده ودواعيه.

❊ ❊ ❊

Abstract:

This study deals with an important theoretical aspect in the interpretation of the Qur'an with the Qur'an as the first asset of the origins of interpretation and grace ranks and there is no doubt that the saying of the speech is aware and its purposes and objectives, and the research addresses the concept of interpretation of the Qur'an with the Qur'an and the fact that this is for the term continued historical and its origins and the interest of those who are familiar with it and how to reach it and its authenticity and the extent of its acceptance when interested in interpretation, all of these are topics investigated by this study in an easy and concise manner that helps the recipient to understand the words of Almighty Allah and know its purposes and reasons.

❊ ❊ ❊

المقدمة

الحمد لله الذي انزل القران الكريم هدى ونوراً وارسل معه نبيه ﷺ مبشراً ونذيراً.

أما بعد؛ فهذا بحث مختصر في تفسير القران بالقران - أصله وحجيته - تناولت فيه بالدراسة مجالاً مهماً في هذا النوع من التفسير مبيناً ماهيته ونشاته وحجيته دفعني الى ذلك شغفي بعلم التفسير وبيان حقيقة احسن طرق التفسير بإجماع الامة على ذلك وقد قسمت البحث الى مقدمة وثلاثة مباحث وقائمة بأهم المصادر الرئيسة في ذلك واصلاً في حدود بحثي ومقدرتي الى أهمية هذا التفسير ومدى فائدة تعلق الآية بالأخرى للوصول إلى معاني الآيات ومراد الله تعالى منها وقد خرجت بنتائج مهمة ينبغي لطالب العلم ان يقف عليها وهي ان أولى لبنات هذا التفسير قد وضعها المعلم الأول نبينا محمد ﷺ وانه علم يعتمد على الأثر وعلى الاستنباط والاجتهاد ومجاله رحب واسع لا يمكن استيعابه تماماً إلا بالوقوف على مجموع الآيات وربطها ببعضها ومقارنتها وفق ضوابط فهم نصوص القران مما يدعو طلبة العلم إلى الاهتمام بهذا النوع التفسيري والغوص في أعماقه خدمةً لكتاب الله تعالى ونصرة لدينه القويم .

المبحث الأول

مفهوم تفسير القرآن بالقرآن .

المطلب الأول : تعريف التفسير والقرآن.

أولاً: التفسير لغةً:

التفسير هو الايضاح والتبيين وهو مصدر من (فسّر يفسِّر تفسيراً)، قال تعالى ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ (١)، وقال ابن فارس : (الفاء والسين والراء) كلمة واحدة تدل على بيان الشيء وإيضاحه ، وقال ابن منظور : (فسّر الشيء بالكسر وبالضم بمعنى أبانه وهو كشف المراد عن اللفظ المشكل (٢) .

ثانياً : التفسير اصطلاحاً :

تباينت تعريفات المفسرين لمصطلح التفسير وجميعها ترجع الى المعنى اللغوي له وهو الكشف والإبانة والإفصاح ، فقد عرَّفهُ ابن جزي الكلبي (ت ٧٤١هـ) بقوله : (شرح القرآن وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه) (٣) ، وعرّفه الزركشي بقوله : (علم يعرف

(١) الفرقان: ٣٣.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس : ٥٠٤/٤ و لسان العرب : ٥٥/٥.

(٣) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي : ١٥/١ .

به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه) [١] ، وعرَّفه البعض بأنه : (علم يبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد بقدر الطاقة البشرية) [٢] ، وهذا التعريف هو الصواب لأنه شاملٌ لكل ما يدخل تحت مراد الله تعالى ، وتقييده بالطاقة البشرية لأن ما يذهب إليه المفسر قد يوافق مراد الله تعالى وقد لا يوافقه تبعاً للطاقة البشرية المحدودة .

ثالثاً : القرآن لغةً :

اختلف في لفظ القرآن اشتقاقاً أصله مهموزاً أو غير مهموز على أقوال [٣]، فقد ذهب الأكير إلى أنه مهموز ؛ لكنهم اختلفوا في اشتقاقه على قولين :

الأول : هو مصدر من التلاوة كالغفران والشكران .

الثاني : هو وصف على (فعلان) من القرء بمعنى الجمع ، ويسمى (قرآناً) لجمعه السور والآيات والقصص والأوامر والنواهي وغيرها .

وذهب غيرهم الى كونه غير مهموز على قولين :

الأول : من قرن الشيء بالشيء بمعنى ضمه وجمعه ؛ وسمي القرآن كذلك لاقتران السور والآيات والحروف داخل دفتيه .

الثاني : من القرائن لأن آياته يصدق بعضها بعضاً .

وذهب آخرون إلى أنه غير مشتق وهو اسم علم موضوع للدلالة على الكلام المنزل على النبي ﷺ .

أجلى هذه الآراء وأقواها القول الأول لدليل يعضده من القرآن وهو قوله تعالى : إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ فَإِذا قَرَأْناهُ فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ [٤] .

رابعاً : القرآن اصطلاحاً:

(هو اللفظ العربي المعجز الموحى به إلى النبي محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام المنقول بالتواتر المكتوب في المصاحف المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس) [٥].

المطلب الثاني : تعريف القرآن بالقرآن

لم يتعرض أكثر المفسرين لوضع حد لتعريف (تفسير القرآن بالقرآن) وذلك لوضوح وجلاء ما يفهم من تفسير القرآن بالقرآن ، وخاصة أن

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي : ١٣/١ .
(٢) ينظر: التفسير والمفسرون للذهبي : ١٣/١.
(٣) ينظر: تفصيل ذلك في البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٢٧٧/١.
(٤) القيامة: ١٧ - ١٨.
(٥) ينظر: ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول: ٨٥/١ ، والواضح في علوم القرآن لمصطفى ذيب البغا : ١٥/١.

القرآن يشهد على بعضه ويفسر بعضه بعضاً لكن اكتفى هؤلاء المفسرون بذكر الأمثلة عليه والاستشهاد به ، أضف إلى ذلك ارتباط هذا المصطلح بمفهوم التفسير ، وهو نوع من انواع ومصادر التفسير المعروفة وتعريف الكل تعوض عن تعريف الجزء ومع ذلك فقد عرفه بعض العلماء ونكر منها :

١- عرفه أبو طبره : بأنه (مقابلة الآية بالآية وجعلها شاهداً لبعضها الآخر ليستدل على هذه بهذه فيفهم بذلك المعنى المراد)، لكن هذا التعريف ليس شاملاً لمفهوم هذا المصطلح[١] .

٢- عرفه د. أحمد البريدي ، بأنه: (بيان القرآن بالقرآن) [٢] .

والناظر في طريقة المفسرين المهتمين بتفسير القرآن بالقرآن [٣] يدرك جلياً أنهم لم يقتصروا على ما فيه بيان الآية بالآية الأخرى بل توسعوا لأكثر من ذلك فجعلوا ضمن ذلك التفسير كل ما يستفاد من آيات القرآن كالاستشهاد وجمع موارد اللفظ القرآني ، وجمع الآيات المتشابهة في موضع واحد، والجمع بين ما يتوهم أنه مختلف وغيرها ، فيدرك من ذلك أن كل ما قيل فيه أنه تفسير القرآن بالقرآن إن لم يتحقق فيه مقصود الآية بآية أخرى فلا يعد ذلك تعبيراً مطابقاً لهذا المصطلح، بل هو من المصطلح المفتوح الموسع في تفسير القرآن بالقرآن ، ولذلك يقسم مصطلح تفسير القرآن بالقرآن الى قسمين [٤] :

القسم الأول : ما يطابق بيانه بيان آية أخرى وهو ما يعبر تعبيراً دقيقاً عن هذا المصطلح .

القسم الثاني : مصطلح موسع مفتوح لم يكن فيه بيان عن آية بآية أخرى وهو ما سار عليه أكثر المفسرين في تفسير القرآن بالقرآن .

ولذلك فإن تفسير القرآن بالقرآن درجات وأنواع وهو يختلف قوةً وضعفاً، وقرباً وبعداً، وظهوراً وخفاءً ، ومطابقةً ومقاربةً والكل يقدر بقدره .

* * *

(١) ينظر: المنهج الأثري لأبي طبره : ص٥٦.

(٢) ينظر: تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية للبريدي : ص١٧.

(٣) ذكر د. مساعد الطيار أن أبرز من اهتم بتفسير القرآن بالقرآن ثلاثة وابن كثير في (تفسير القرآن العظيم)، والأمير الصنعاني في كتابه : مفاتح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن . والشنقيطي في أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ينظر: مصادر التفسير : ١/٥.

(٤) ينظر شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية : ١/٢٧٥ للدكتور مساعد الطيار ، وتفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية : ص٣٩.

المبحث الثاني

الأصل التأريخي لتفسير القرآن بالقرآن والاهتمام به :

المطلب الأول : الأصل التأريخي لتفسير القرآن بالقرآن: وينظر الى هذا الموضوع من محورين مهمين وهما كالآتي :

المحور الأول : اهتمام القرآن والسنة بتفسير القرآن بالقرآن :

يعد القرآن الكريم المؤكد الأول للعناية بهذا اللون التفسيري وذلك من خلال إلحاحه وتأكيده على أهمية رجوع المسلم الى آيات كتاب الله تعالى للتدبر والتذكر والاعتبار والامتثال، قال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)[١]، كذلك تأكيد القرآن على أن تفسير القرآن بالقرآن هو أحسن وأفضل تفسير له، قال تعالى: (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً)[٢] ومن ذلك أيضاً إحالات القرآن وتوجيهه فكر الانسان لمعرفة التفسير والبيان من آية أخرى مما يفتح فكر المسلم للتنقيب عن معرفة مراد الله تعالى، ومثال ذلك: حرم الله تعالى أموراً على اليهود بقوله: (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ)[٣] ، لكن المسلم المتدبر لكتاب الله تعالى في تفصيل ذلك في قوله تعالى : (وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ)[٤] ثم إن شمس هذا اللون التفسيري قد اشرقت وتنامت أطرافه في عصر النبي ﷺ، فكان النبي ﷺ المؤسس الثاني له، ويتضح ذلك جلياً من أوامره ﷺ لصحابته وبالرجوع إلى كتاب الله تعالى والاحكام إليه والتزام الصمت عند غياب الدليل من القرآن في حادثةٍ طارئةٍ حتى يقضي الله تعالى فيها أمراً كان مفعولاً .

ومن ذلك ما روي عند عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال لما نزل قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ) شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : أينا لم يلبس إيمانه بظلم، فقال رسول الله ﷺ : إنه ليس بذاك، ألا تسمعون بقول لقمان : (إن الشرك لظلم عظيم) (٥) ومن ذلك

(١) محمد: ٢٤.
(٢) الفرقان: ٣٣.
(٣) النحل: ١١٨.
(٤) الأنعام: ١٤٦.
(٥) صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين

أيضاً تفسيره ﷺ لقوله تعالى : (وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ) [١]، بقوله تعالى : (إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[٢] ومنها أيضاً : تنبيهه ﷺ الى فكرة تفسير القرآن بالقرآن فيما يرويه انس قال جاء رجل الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله : ذكر الله الطلاق مرتين فأين الثالثة فقال : (فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَٰنٍ)[٣] نستنتج من ذلك أن تفسير النبي ﷺ لآيات القرآن كان أصلاً مهماً ولبنةً أساسية في تأصيل ونشأة هذا اللون من النفس وقد اعتمد عليه الصحابة والتابعون من بعدهم في تفسيرهم لكتاب الله تعالى.

المحور الثاني: اهتمام الصحابة والتابعين بتفسير القرآن بالقرآن

اعتنى الصحابة الكرام كثيراً بتفسير القرآن بالقرآن باعتباره الأصل الأول من أصول التفسير، ومن ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتاً فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[٤] قال : (كنتم أمواتاً فأحياكم في أصلاب آبائكم لم تكونوا شيئاً حتى خلقكم ثم يميتكم موتة الحق ثم يحييكم حين يبعثكم، قال : وهي مثل قوله تعالى : (أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ)[٥] [٦] ومثال ذلك أيضاً ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى :﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ)[٧]، قال : هم الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة، وقال: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ) [٨] قال: ضربائهم [٩].

وقد سلك التابعون مسلك الصحابة الكرام ففسروا القرآن بالقرآن وقد وردت عنهم في ذلك آثاراً كثيرة منها ما روي عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) [١٠] قال: الرجل يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه حتى تغشي الذنوب عليه وهي مثل الآية التي في سورة البقرة: (بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ

وقتالهم، باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة: ١٣/٩ برقم (٦٩١٨) .

(١) الأنعام: ٥٩ .

(٢) لقمان: ٣٤.

(٣) البقرة: ٢٢٩، ينظر : الاتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٦١/٣.

(٤) البقرة: ٢٨.

(٥) غافر: ١١.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم : ٧٣/١.

(٧) التكوير: ٧ .

(٨) الصافات: ٢٢.

(٩) ينظر: جامع البيان : ٢٧/٢١.

(١٠) المطففين: ١٤.

بِهِ خَطِيـَٔتُهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[١][٢] وممن اشتهر من الصحابة والتابعين في تفسير القرآن بالقرآن : ابن عباس [٣]، وابن مسعود [٤] ، ومجاهد [٥] ، وقتادة [٦] ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم[٧]، وغيرهم كثير .

ومن اشهر المفسرين المكثرين في تفسير القرآن الكريم لهذا النوع من التفسير من التابعين هو عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وذلك لرواياته الكثيرة في هذا الجانب [٨] .

المطلب الثاني: اهتمام المؤلفين بتفسير القرآن بالقرآن

عند مراجعة عامة لمرويات التفسير عن سلفنا الصالح نجد أن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت ١٨٢هـ) رضي الله عنه كان من اكثر السلف اعتناءً بتفسير القرآن بالقرآن[٩]، وكانت عناية المفسرين بهذا النوع من التفسير بين القلة والكثرة تمثل ذلك في كتاباتهم في هذه الكتب ونلخصها بما يأتي :

أولاً منهم من اهتم به ضمناً في تفسيره، ومن اشهر هؤلاء :

١- الامام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هت) في كتابه (جامع في تأويل آي القرآن) الذي يعد من اشهر المتقدمين الذين فسروا القرآن بالقرآن معتمداً على روايات السلف من الصحابة والتابعين وكذلك على تفسيراته وترجيحاته الخاصة في هذا الجانب [١٠] .

٢- الامام أبو الفداء اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ) في تفسيره : (تفسير القرآن العظيم) والذي يعد من اشهر الكتب المدونة في التفسير بالمأثور فقد امكن في طريقة تقديمه عن غيره بذكر الآية وتوضيحها بآية أخرى ومقارنتها معها حتى يظهر المراد منها ويعد كذلك أكثر ما عرف من كتب التفسير سرداً للآيات المتناسبة في المعنى الواحد [١١] وفي ذلك قال د. مساعد الطيار - أن ابن كثير استخدم القرآن في بيان ضعف بعض الأقوال التفسيرية أو تقويتها ببعضها الآخر، أو الاستشهاد به أو جمع أماكن ورود اللفظ أو القصة الواحدة أو ذكر فائدة قرآنية

---

(١) البقرة: ٨١.
(٢) ينظر : جامع البيان : ٢٤/ ٢٨٩.
(٣) ينظر : جامع البيان : ٢١/ ٣٦٠.
(٤) ينظر : جامع البيان : ٢٠/ ٣٧.
(٥) ينظر : جامع البيان : ٢٤/ ٢٨٩.
(٦) ينظر : جامع البيان : ٢١/ ٢٨.
(٧) ينظر : جامع البيان : ٢٠/ ٤٧٨.
(٨) ينظر: امثلة من تفسيراته في جامع البيان : ١٢٢/١ -١٨٧- ٢٤٣ -٢٤٩ -٢٥١.
(٩) ينظر: جامع البيان: ٥٩/٢٢، ومصادر التفسير د. مساعد الطيار : ٥/١ .
(١٠) ينظر: دراسات في علوم القرآن لفهد الرومي : ١٥٥/١.
(١١) ينظر: التفسير والمفسرون للذهبي : ١٧٥/١.

مستدلاً بآية أخرى [١] .

ثانياً : ومنهم من أفرده بالتأليف ومن أشهر المؤلفين فيه :

اذكر في هذا العدد اسماء الكتب التي سماها أصحابها بتفسير القرآن بالقرآن أو بألفاظ تدل على البيان أو الايضاح مما يطابق هذا المصطلح أو لا يطالقه أو هو بعيد عنه ومن اشهرا :

١- مفاتح الرضوان في تفسير القرآن للأمير الصنعاني (ت ١١٨١هـ) .

٢- تفسير القرآن بكلام الرحمن لثناء الله الهندي الآمر تسري (ت ١٢٦٧هـ) .

٣- أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن لمحمد الامين الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) .

٤- تفسير القرآن بالقرآن والسنة والاثار وبالأسلوب الحديث لأحمد بن عبدالرحمن القاسم (ت ١٤٢٩هـ) .

٥- تفسير القرآن بالقرآن لعبدالكريم الخطيب وهو مؤلف معاصر توفي قبل سنوات .

٦- ما اتصل به بيانه من القرآن الكريم للدكتور ملفي بن ناعم الصاعدي وهو بحث منشور في مجلة الجامعة الاسلامية

المبحث الثالث

سبيل معرفة تفسير القرآن بالقرآن وحجيته

المطلب الأول: سبيل معرفة تفسير القرآن بالقرآن

من خلال النظر والاستقراء في كتابات المفسرين المهتمين بتفسير القرآن بالقرآن نجد أنهم قد سلكوا لمعرفة هذا التفسير طريقين أساسيين:

الطريق الأول: طريق الوحي: وفي ذلك المسلك يتوصل إلى تفسير القرآن بالقرآن بعدة طرق من أهمها:

١. ما جاء في القرآن الكريم بشكل واضح وصريح كأن يكون بصيغة السؤال والجواب كقوله تعالى: (ٱلْقَارِعَةُ مَا ٱلْقَارِعَةُ وَمَآ أَدْرَاكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ) فالجواب قوله تعالى: (يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ)، وهو ما يسمى بتفسير القرآن للقرآن أي ان التفسير يكون فيه صريحاً وواضحاً , وقد يكون بذكر الموصوف وإلحاقه بأوصافه .

٢. ومنها ما ورد عن النبي r من أحاديث يفسر فيها آيات القرآن بآيات أخرى كقوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ) فقد فسر الظلم بالشرك في قوله تعالى: (إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) وقد فسر

(١) ينظر: شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية : ٢٧٧/١.

عليه الصلاة والسلام مفاتح الغيب بالمغيبات الخمس فالإجمال في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ بينه قوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) وذلك في ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَفاتِحُ الغَيبِ خَمْسَةٌ ثم قرأ: إنّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَة))[١].

الطريق الثاني: طريق الاجتهاد والرأي:

وهو الطريق الذي يكون من تفسير الصحابي أو التابعي أو من جاء من بعده من أئمة التفسير حتى لوقت الحاضر، وهذا يحتاج إلى دراسة وتأمل فقد يفسر صاحب الرأي آيات القرآن بغيرها فيصيب أو يخطأ، فقد فسر مجاهد رحمه الله قوله تعالى: (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) بقوله تعالى: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً) لكن الإمام الطبري لم يرجح ذلك التفسير مفسراً إياه بخروجه من بطن أمه قائلاً: (وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: ثم الطريق، وهو الخروج من بطن أمه يسره وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب، لأنه أشبههما بظاهر الآية، وذلك أن الخبر من الله قبلها وبعدها عن صفته خلقه، وتدبيره جسمه، وتصريفه إياه في الأحوال، فالأولى أن يكون أوسط ذلك نظير ما قبله وبعده)[٢].

كذلك قد فسر قوله تعالى: (لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) بقوله تعالى: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) فقد اعتبرها الزمخشري من المتشابهات التي يجب أن ترد إلى المحكمات فترد الآية الثانية على الأولى[٣]، وهذا تفسير مردود على من يرى باعتقاد نفي رؤية العباد لله تعالى في الآخرة، وبذلك يكون تفسير القرآن بالقرآن من التفسير بالرأي المحمود قولاً بالاجتهاد في تفسير الآية بغيرها، ويكون من التفسير عندما ننظر إلى المفسَّر به وهو القرآن الكريم وذلك من حيث أصله وطريقة وصوله إلينا بواسطة النقل والأثر[٤].

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة آلم غلبت الروم: ١٧٩٣/٤ برقم (٤٥٠٠).

(٢) ينظر: جامع البيان: ٢٢٤/٢٤.

(٣) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري: ٣٦٥/١.

(٤) ينظر: تفسير القرآن بالقرآن، دراسة تأصيلية للبريدي: ص٢٠، ومقدمات أساسية في تفسير القرآن بالقرآن: بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية بدمنهور: العدد ٥، ١٤١/٢.

المطلب الثاني: حجية تفسير القرآن بالقرآن.

كما علمنا أن تفسير القرآن بالقرآن هو أصح طرق التفسير وأشرفها بلا منازع لكن ذلك لا يفهم منه أنه يقبل مطلقاً ولا يقال بحجيته على وجه الاطلاق وفي ذلك الأمر تفصيل يبينه الآتي:

١. من تفسير القرآن بالقرآن ما هو قطعي وحجة مطلقاً وهو يشتمل على نوعين:

النوع الأول: ما فيه دلالة واضحة وصريحة على التفسير ولا يختلف عليه أحد وهو ما فيه طريقة السؤال والجواب أو بذكر الموصوف وإتباعه بأوصافه وذلك حجة تقبل وواجب الأخذ به ولا يعدل عنه في التفسير لأن القرآن صرّح به والقرآن يفسر بعضه بعضاً وذلك مثل قوله تعالى: (وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ وَمَآ أَدْرَاكَ مَا ٱلطَّارِقُ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ) (١).

النوع الثاني: ما ورد عن النبي ﷺ بسند صحيح في تفسير القرآن بالقرآن فهو حجة مقبولة لا يمكن العدول عنها لأنه وحي من الله تعالى على لسان النبي ﷺ كتفسير للشرك بالظلم في قوله تعالى: (إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (٢).

٢. ومن تفسير القرآن ما هو مردود ومن الرأي المذموم المعتمد على الهوى والقول بالرأي: وهو ما يتبعه بعض أصحاب الأهواء والبدع تقريراً لمنهجهم وتأييداً له بأدلة من القرآن نفسه كما في بناء الزمخشري(٣) رأيه على نفي رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة وذلك بحمل قوله تعالى: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (٤) على قوله تعالى: (لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (٥).

٣. ومنه ما كان قبيل الرأي المحمود المعتمد على دقة وصحة النظر وقوة الاستنباط والتجرد من البدع والأهواء: وذلك منه المردود والمقبول وهذا يحتاج إلى تأمل ودقة نظر وتتبع، فإن كان خلاف الراجح ويعارض دليلاً أقوى منه فلا يقبل، أما إذا كان معتمده النظر والاستنباط والتجرد عن الهوى وسلم من المعارضة فإنه يقبل ويكون مرجحاً للقول الموافق على ما خالفه من بقية الأقوال(٦).

* * *

(١) الطارق: ١-٢.

(٢) لقمان: ١٣.

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري: ٣٦٥/١.

(٤) القيامة: ٢٢-٢٣.

(٥) الأنعام: ١٠٣.

(٦) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: ٣٢١/٢.

مصادر البحث

- القرآن الكريم.
- لسان العرب : لمحمد بن مكرم بن علي ابي الفضل جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعي الافريقي (ت ٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ .
- التسهيل لعلوم التنزيل : لابي القاسم محمد بن احمد بن محمد بن عبدالله ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت٧٤١هـ) تحقيق : د. عبدالله الخالدي ، شركة دار الارقم ابن ابي الارقم ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ .
- البرهان في علوم القرآن : لابي عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم، ط١ ، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧ م ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه .
- التفسير والمفسرون : للدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت١٣٩٨هـ) مكتبة وهبة - القاهرة .
- ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول : لمحمد ابن علي ابن محمد ابن عبدالله الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ) تحقيق : الشيخ احمد عزو عناية ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
- الواضح في علوم القرآن : لمصطفى ديب البغا ، دار الكلم الطيب - دمشق ، ط٢ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
- شرح مقدمة في اصول التفسير : لابن تيمية د. مساعد الطيار .
- صحيح البخاري : لمحمد بن اسماعيل ابي عبدالله البخاري الجعفي ، دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، تحقيق : مصطفى ديب البغا .
- الاتقان في علوم القرآن : لعبدالرحمن بن ابي بكر ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
-تفسير القرآن العظيم : لابي محمد عبدالرحمن بن محمد بن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ابن ابي حاتم (٣٢٧هـ) تحقيق : اسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، ط٣ ، ١٤١٩هـ .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن : لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الاملي ابي جعفر الطبري (ت٣١٠هـ) ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
- دراسات في علوم القرآن : لفهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي ، ط١٢ ،

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

- هدية العارفين اسماء المؤلفين واثار المصنفين : لإسماعيل بن محمد امين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت١٣٩٩هـ) ، دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان .

- اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن : لمحمد الامين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) ، دار الفكر لبنان ، ط١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

- التفسير والمفسرون في غرب افريقيا : لمحمد بن رزق بن طرهوني - معاصر .

- تفسير الماتريدي - تأويلات اهل السنة: لمحمد بن محمد بن محمود ابي منصور الماتريدي (ت٣٣٣هـ) ، تحقيق : د. مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

- الموافقات : لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت٧٩٠هـ) تحقيق : ابوعبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

- معترك الاقران في اعجاز القرآن : لعبدالرحمن بن ابي بكر جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل : لابي القاسم محمود بن عمر الزبخشري الخوارزمي ، دار احياء التراث العربي بيروت ، تحقيق : عبدالرزاق مهدي .

* * *